مواد ، وإنْ وُجِد خلاق من البشـر ؛ فهو وحـده سبـحانه الذى يهب إنساناً ما أفكاراً لينفذها ، ثم يأتى مَنْ هو أذكى منه ليُطوِّرها .

ولذلك قال الحق سبحانه :

﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ (٧٦) ﴾ [يوسف]

وهكذا رأينا كل المخترعـات البشرية تتطوّر ؛ والمثل على ذلك هو آلة الحيـاكة التى صـارت تعمل الآن آليـاً بعد أن كانت المـرأة تجلس عليهـا لتكدَّ فى ضَبْطهـا ، وكذلك غسّـالة الملابس ، وغسـالة الأطباق والسيارات والطائرات .

ونلحظ أن كل ما خلقه الله يمكن أن يُستـفاد من عادمه مثل رَوَث البهائم ؛ الذى يُسـتخدم كسمـاد ، أما عادم السيارات مثـلاً فهو يُلوِّث الجو . وشاشة التلفزيون تُصدر من الإشـعاعات ما يضر العين ، وتَمَّ بحْثُ ذلك لتـلافى الآثار الجـانبيـة فى مـثل تلك الأدوات التى يسـهل الإنسان بها حياته .

أما ما يخلقه الله فلا توجد له آثار جانبية ؛ فسبحانه ليس صاحب علْم مُكْتسب أو ممنوح ؛ بل العلم صفة ذاتية فيه .

ويقول سبحانه من بعد ذلك :


﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى[1] وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ (٨٧) ﴾

---

(١) المثانى من القرآن : مـا ثُنِّى مرة بعد مرة . قال أبو عبيد : سُمى الـقرآن مثانى لأن الأنباء والقصص ثنيت فيـه ، ويسمى جميع القرآن مـثانى أيضاً لاقتران آية الرحـمة بآية العذاب . [لسان العرب ـ مادة : ثنى] .

وهنا يمتنُّ الحق سبحانه على رسوله ﷺ بأنه يكفيه أنْ أنزلَ عليه القرآن الكتاب المعجزة ، والمنهج الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خَلْفه . فالقرآن يضمُّ كمالاتِ الحق التى لا تنتهى ؛ فإذا كان سبحانه قد أعطاك ذلك ، فهو أيضاً يتحمَّل عنك كُلَّ ما يُؤلمك .

والحق سبحانه هو القائل :

﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ[1] (٩٧) ﴾ [الحجر]

ويقول له الحق أيضاً :

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ .. (٣٣) ﴾ [الأنعام]

وأزاح الحق سبحانه عنه هموم اتهامهم له بأنه ساحر أو مجنون ؛ وقال له سبحانه :

﴿ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣) ﴾ [الأنعام]

ويكشف له سبحانه : إنهم يؤمنون أنك يا محمد صادق ، ولكنهم يتظاهرون بتكذيبك .

ويتمثَّل امتنانُ الحق سبحانه على رسوله أنه أنزل عليه السَّبْع المثانى ، واتفق العلماء على أن كلمة « المثانى » تعنى فاتحة الكتاب ، فلا يُثنَّى فى الصلاة إلا فاتحة الكتاب .

---

(١) أى : بما تسمعه من تكذيبك وردّ قولك ، وتناله وينال أصحابك من أعدائك . [تفسير القرطبى ٣٧٨٦/٥] .

ونجده سبحانه يَصف القرآنَ بالعظيم ؛ وهو سبحانه يحكم بعظمة القرآن على ضَوْء مقَاييسه المُطْلقة ؛ وهى مقاييس العظمة عنده سبحانه .

والمثل الآخر على ذلك وَصْفه سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ④ ﴾ [القلم]

وهذا حُكْم بالمقاييس العُلْيا للعظمة ، وهكذا يصبح كُلّ متاع الدنيا أقلَّ ممَّا وهبه الحق سبحانه لرسوله ﷺ ، فلا ينظرَنَّ أحدٌ إلى ما أُعطِى غيره ؛ فقد وهبه سبحانه لرسوله ﷺ .

ونلحظ أن الحق سبحانه قد عطف القرآن على السَّبْع المثانى ، وهو عَطْف عام على خَاصٍّ ؛ كما قال الحق سبحانه :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ[1] .. ②③⑧ ﴾ [البقرة]

ونفهم من هذا القول أن الصلاة تضمُّ الصلاة الوُسْطى أيضاً ، وكذلك مثل قول الحق ما جاء على لسان رسوله ﷺ :

﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ .. ②⑧ ﴾ [نوح]

---

(١) اختلف العلماء فى تحديد الصلاة الوسطى على ثلاثة أقوال :
القول الأول : الصبح ، حكاه مالك فى الموطأ بلاغاً عن على وابن عباس .
القول الثانى : الظهر ، قاله زيد بن ثابت وابن عمر وعائشة .
القول الثالث : العصر ، قال الترمذى والبغوى : هو قول أكثر علماء الصحابة . [انظر تفسير ابن كثير ١/ ٢٩٠ - ٢٩٢] قال الشيخ سيد سابق فى فقه السنة (١/ ٧٧) : « قد جاءت الأحاديث الصحيحة مصرحة بأن صلاة العصر هى الصلاة الوسطى » . وقيل : إن كل صلاة من الصلوات الخمس تعتبر وسطى ، وذلك لدوام المحافظة على الصلوات الخمس ، وفى الكل خير .

وهكذا نرى عَطْف عام على خاص ، وعَطْف خاص على عام .

أو : أنْ نقولَ : إن كلمة « قرآن » تُطلَق على الكتاب الكريم المُنزَّل على رسول الله ﷺ من أول آية فى القرآن إلى آخر آية فيه ، ويُطلق أيضاً على الآية الواحدة من القرآن ؛ فقول الحق سبحانه :

﴿ مُدْهَامَّتَانِ[1] (٦٤) ﴾ [الرحمن]

هى آية من القرآن ؛ وتُسمَّى أيضاً قرآناً .

ونجده سبحانه يقول :

﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا[2] (٧٨) ﴾ [الإسراء]

ونحن فى الفجر لا نقرأ كل القرآن ، بل بعضاً منه ، ولكن ما نقرؤه يُسمَّى قرآناً ، وكذلك يقول الحق سبحانه :

﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا[3] مَّسْتُورًا (٤٥) ﴾ [الإسراء]

وهو لا يقرأ كُلّ القرآن بل بعضه ، إذن : فكلُّ آية من القرآن قرآن .

---

(١) مدهامتان : سوداوان من شدة الخضرة وكثرة الظلال . وهذا كناية عن النعيم التام . والدُّهْمة . السواد . [القاموس القويم ١/٢٣٥] .

(٢) أخرج أحمد فى مسنده (٢/٤٧٤) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) ﴾ [الإسراء] قال : « تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار » .

(٣) الحجاب المستور : طبع الله على قلوبهم حتى لا يفقهوه ولا يدركوا ما فيه من الحكمة . وقيل : نزلت فى قوم كانوا يؤذون رسول الله ﷺ إذا قرأ القرآن ، وهم أبو جهل وأبو سفيان والنضر بن الحارث وأم جميل امرأة أبى لهب وحويطب . فحجب الله سبحانه رسوله ﷺ عن أبصارهم عند قراءة القرآن . [تفسير القرطبى ٥/٣٩٩٨] .

وقد أعطى الحق سبحانه رسوله ﷺ السَّبْع المثانى والقرآن العظيم ، وتلك هى قمَّة العطايا ؛ فلله عطاءاتٌ متعددة ؛ عطاءات تشمل الكافر والمؤمن ، وتشمل الطائع والعاصى ، وعطاءات خاصة بمَنْ آمن به ؛ وتلك عطاءات الألوهية لمَنْ سمع كلام ربِّه فى « افعل » و « لا تفعل » .

وسبحانه يمتد عطاؤه من الخَلْق إلى شَرْبة الماء ، إلى وجبة الطعام ، وإلى الملابس ، وإلى المَسْكن ، وكل عطاء له عُمْر ، ويسمو العطاء عند الإنسان بسُمو عمر العطاء ، فكل عطاء يمتدُّ عمره يكون هو العطاء السعيد .

فإذا كان عطاء الربوبية يتعلَّق بمُعْطيات المادة وقوام الحياة ؛ فإن عطاءات القرآن تشمل الدنيا والآخرة ؛ وإذا كان ما يُنغِّص أيَّ عطاء فى الدنيا أن الإنسانَ يُفارقه بالموت ، أو أن يذوى هذا العطاء فى ذاته ؛ فعطاء القرآن لا ينفد فى الدنيا والآخرة .

ونعلم أن الآخرة لا نهايةَ لها على عكس الدنيا التى لا يطول عمرك فيها بعمرها ، بل بالأجل المُحدَّد لك فيها .

وإذا كانت عطاءاتُ القرآن تحرس القيم التى تهبُك عطاءات الحياة التى لا تفنَى وهى الحياة الآخرة ؛ فهذا هو أسْمى عطاء ، وإياك أن تتطلعَ إلى نعمة موقوتة عند أحد منهم من نعَم الدنيا الفانية ؛ لأن مَنْ أُعطِى القرآن وظنَّ أن غيره قد أُعْطِى خيراً منه ؛ فقد حقر ما عَظَّم الله .

وما دام الحق سبحانه قد أعطاك هذا العطاء العظيم ، فيترتب عليه قوله :

﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ(١) جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

والمَدُّ : هو مَطُّ الشيء وزيادته . وللعيْن مسافات تُرَى فيها المرائى ؛ كُل عَيْن حَسْبَ قدرتها ، فهناك مَنْ يتمتع ببصر قوى وحادّ ، وهناك مَنْ ليس كذلك .

ويتراوح الناس فى قدرة إبصارهم حسب توصيف وضعه الأطباء ؛ ليعالجوا ذلك على قَدْر استطاعتهم العلمية . وفى المثل اليومى نسمع مَنْ يقول « فلان عنده بُعْد نظر » أى : يملك قدرة على أن يقيسَ رُدود الأفعال ، ويتوقّع ما سوف يحدث ، وما يترتّب على نتائج أىِّ فعل .

والمراد بمَدِّ العين ليس إخراج حبة العين ومدَّها ؛ ولكن المراد إدامة النظر والإمعان ، ولكن الحق سبحانه عبّر فى القرآن هذا التعبير ، وكأن الإنسان سيخرج حبَّة عينه ليجرى بها ، وليُمعِن النظر ، وهذا ما يفهم من منطوق الآية ، والمنطوق يشير إلى المفهوم المراد ، وهذا عين الإعجاز .

وكلمة « متاع » تفيد أن شيئاً يُتمتَّع به وينتهى ، ولذلك يُوصَف متاع الدنيا فى القرآن بأنه متَاعُ الغرور ، أى : أنه متاع موقوت بلحظة .

---

(١) خفضه : هبط به . قال تعالى : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر] كناية عن الرحمة والتواضع لهم ولين الجانب معهم [القاموس القويم ٢/١٩٩] .

وقول الحق سبحانه :

﴿ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ ..(٨٨) ﴾ [الحجر]

هى جَـمْع زَوْج ، وسبق أنْ أوضحنا أن كلمة « زوج » هى مفرد ، والذكَر والأنثى حين يتلاقيان يصبح اسمهما زوجين ، والحق سبحانه هو القائل :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا ..(٣٦) ﴾ [يس]

والأزواج كلُّها تعنى الفرد ، ومعه الفرد من كل صنف من الأصناف . والمراد بكلمة أزواج هنا أن المخالفين لرسول الله ﷺ كانوا شِلَلاً شِللاً ؛ ضال ومضل ؛ وضال آخر معه مُضِل .

ولحظة الحساب سيقول كل منهم :

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ(١) (٥١) ﴾ [الصافات]

وهكذا كانت كلمة « أزواج » تدل على أصناف متعددة من الذين يقفون معاندين لرسول الله ﷺ ومُنكِرين لمنهجه .

وفى موقع آخر من القرآن يكشف سبحانه عَمَّنْ أغوتْهم الشياطين ، ويحشرهم الحق سبحانه مع الشياطين فى نار جهنم :

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم(٢) مِّنَ الإِنسِ ..(١٢٨) ﴾ [الأنعام]

(١) قارن الشىءُ الشىءَ : اقترن به وصاحبه . والقرين : المصاحب . والقرين يكون فى الخير والشر . [لسان العرب - مادة : قرن] .

(٢) استكثرتم : أغويتم كثيرين منهم وسيطرتم عليهم . [القاموس القويم ٢/١٥٥] .

أى : يا معشرَ الجنِّ قد استطعتُم أنْ تُوحوا لكثير من الإنس بالغواية والمعصية ، ليكونوا أولياءكم ، وهكذا نجد أن كل جماعة تتفق على شىء نُسمِّيهم أزواجاً .

وهنا يُوضِّح الحق سبحانه : إياك أنْ تَمُدَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجاً منهم ، لأننا أعطيناك أعلى عطاءٍ ، وهو معجزة القرآن حارس القيم ، والذى يضمُّ النَّهْج القويم .

ويتابع سبحانه :

﴿ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ .. (٨٨) ﴾ [الحجر]

ويُقال : حزنت منه ، وحَزِنت عليه ، وحَزِنت له ؛ فمَنْ ناله ما يُحزن ، ولم يَصْدُر عنك هذا السبب فى حزنه ؛ فأنت تقول له « حَزِنت لك » .

وآخر ارتكب فعْلاً يُسِيء إلى نفسه ؛ فأنت تحزن عليه . ورسول الله ﷺ حَزِن عليهم ؛ فقد كان يُحِبّ أنْ يؤمنوا ، وأنْ يتمتعوا بالنعمة التى يتمتع هو بها .

ولذلك نجد الحق سبحانه يقول عن رسوله ﷺ :

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ[1] حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة]

فمنْ رأفته ﷺ صَعُبَ على نفسه أنْ ينَال قومه مشقةٌ ؛ فالرحمة

---

(١) العنت : دخول المشقة على الإنسان ولقاء الشدة . قال ابن الأثير : العنت : المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والخطأ . [لسان العرب ـ مادة : عنت] .

والرأفة مصدرها ما وهبه الله إياه من فَهْم لقيمة نعمة الإيمان .

وفى آية أخرى يقول سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ(١) نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف]

أى : أنه لن ينقصَ منك شىء فى حالة عدم إيمانهم ، ولن يزيدك إيمانهم أجراً ؛ ذلك أن عليك البلاغَ فقط ؛ فلماذا تحزن على عدم إيمانهم ؟

وقَوْل الحق سبحانه هنا :

﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ .. ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر]

دليل على أن رسول الله ﷺ كان حريصاً على أنْ يُؤمن قومه ، محبةً فيهم ، وليتعرَّفوا على حلاوة الإيمان بالله . وكان ﷺ يتألم ، ويحز فى نفسه عدم إيمانهم ، لدرجة أن الحق سبحانه قال له فى آية أخرى :

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً(٢) فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشعراء]

وهنا يُوضِّح الحق سبحانه لرسوله ﷺ أن إيمانهم ليس أمراً

(١) بخع نفسه : قتلها غيظاً أو غماً . باخع : أى مهلك نفسك بحزنك عليهم . أى : لا تأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها . [تفسير ابن كثير ٧٢/٣] .

(٢) الآية : العلامة الواضحة والمعجزة لأنها علامة على صدق الرسول . [القاموس القويم ٤٧/١] .

صعباً عليه سبحانه ؛ ذلك أنه قادر أنْ ينزّل آية من السماء تجعلهم خاضعين ؛ مؤمنين ؛ لكنه سبحانه يحب أن يأتيه خَلْقُه محبةً ، وأنْ يُحسنوا استخدام ما وهبهم من خاصية الاختيار .

فسبحانه لا يقهر أحداً على الإيمان به ؛ فالإيمان عَمَل قلوبٍ ، وسبحانه لا يريد قوالب ، وإنما يريد قلوباً خاشعة ، ولو شاء سبحانه من خَلْقه أنْ يأتوه طواعية ؛ فالقهر من القاهر يُثبِت له القدرة ، ولكن أنْ يأتيَ الخَلْق إلى خالقهم طواعية ؛ فهذا يُثْبت له المحبوبية .

والحق سبحانه يريد أن يكون الإيمان نابعاً من محبوبية العابد للمعبود ؛ ولذلك يقول الحق سبحانه لرسوله ﷺ :

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ..﴿٨٨﴾﴾ [الحجر]

ثم يُوجِّه له الأمر بأنْ يُوجِّه طاقة الحنان والمودّة التى فى قلبه إلى مَنْ يستحقها ، وهم المؤمنون برسالته ﷺ ؛ وعليه أنْ يخفضَ جناحه للمؤمنين .

فكُلُّ حركة من الإنسان هى نزوع يتحرّك من بعد وُجْدان ، والوُجْدان يُولِّد طاقة داخلية تُهيىء للنزوع وتدفع إليه ، فإن حزن الرسول ﷺ لعدم إيمان صناديد قريش برسالته ؛ فهذا الحُزْن إنما يخصم ويأخذ من طاقته ؛ فيأتيه الأمر من الحق سبحانه أن يُوفّر طاقته ، وأنْ يُوجِّهها لمَنْ آمن به ؛ وأن يخفضَ جناحه لهم .

وخَفْض الجناح هو التواضُع ؛ ذلك أن الجناحَ هو الجانب ، فحين

يأتيك إنسانٌ تريد أنْ تتكبَّر عليه ؛ فهو يقول « فلان لَوَى عنِّى جانبه » .

وهكذا يأمر الحق سبحانه رسوله أن يتواضع مع المؤمنين ؛ وأنْ يتوجه إليهم لا باستقامة قالبه ، بل أن ينزل هذا القالب قليلاً .

وكلمة : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ .. (٨٨) ﴾ [الحجر]

مأخوذة من خَفْض جناح الطائر ، فالطائر يرفع جناحه عند الطيران ، ولكن ما أنْ يلمسَ هذا الطائر فَرْخَه الصغير حتى يَخفض جناحه له ليضمه إليه .

إذن : فالطاقة التى كنتَ تُوجِّهها يا رسول الله إلى مَنْ لا يستحق ؛ عليك أنْ تُوجِّهها لِمَنْ يستحقها ، فيكفيك أن تُبلِّغ الناس جميعاً برسالتك ؛ ومَنْ يؤمن منهم هو مَنْ يستحق طاقةَ حنانِك ورحمتك .

وخَفْض الجناح لِمَنْ آمن برسالتك لا يورثه كِبْراً عليك ؛ بل يزيده أدباً معك .

وقد جاء فى الأثر : « إذا عَزَّ أخوك فَهُنْه » أى : أنك إذا رأيتَ أخاك فى وضع يعِزّ عليك ، فَهُنْ له أنت .

ومن قبل الإسلام قال الشاعر العربى[1] :

---

(١) هو : الفند الزمانى ، واسمه شَهْل بن شيبان . شاعر جاهلى ، من أهل اليمامة ، سُمى الفند لعظم خلقته ، تشبيهاً بفند الجبل ، وهو القطعة منه . توفى نحو ٧٠ قبل الهجرة . [الأعلام للزركلى ٣/ ١٧٩] .

صَفَحْنَا عَنْ بَنِى ذُهْلٍ ... وقُلْنَا القَوْمُ إخْوانُ
عَسَى الأيامُ أنْ يَرْجِعْـ ... ـنَ قَوْماً كالذى كَانُوا
فلمّا صَرَّح الشَّرُّ ... فَأمسَى وَهْوَ عُرْيَانُ
مَشيْنَا مِشْيَةَ الليْث ... غَدا والليْثُ غَضْبان
بِضَرْب فيه تَوْهِينٌ ... وتَخْضِيعٌ[1] وإقْرانُ
وطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ ... غَدَا والزِّقُ[2] مَلآنُ
وفى الشَّرِّ نجاة حيـ ... ـنَ لاَ يُنجيك إحسَانُ
وبعضُ الحلمِ عندَ الجهـ ... ـل لِلذلة إذْعَانُ[3]

ونجد القرآن حينما يطبع خلق المؤمن بالله وبالمنهج ؛ لا يطبعه بطابع واحد يتعامل به مع كل الناس ، بل يجعل طَبْعه الخُلقى مطابقاً لموقف الناس منه ، فيقول :

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ..(٥٤)﴾ [المائدة]

ويقول أيضاً فى وصف المؤمنين :

﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ..(٢٩)﴾ [الفتح]

وهكذا لم يطبع المؤمن على الشدة والعزة ، بل جعله يتفاعل مع المواقف ؛ فالموقف الذى يحتاج إلى الشدة فهو يشتد فيه ؛

---

(١) التخضيع : تقطيع اللحم . والإقران : قوة الرجل على الرجل .

(٢) الزق : السقاء ، وهو كل وعاء اتُخذ لشراب ونحوه . وتزقيقه سلخه من قبل رأسه . [لسان العرب ـ مادة : زقق] . والسلخ : الكشط .

(٣) أورد الأبيات أبو على القالى فى أماليه (١/ ٣٠٩ ، ٣١٠) .

والموقف الذى يحتاج إلى لين فهو يلين فيه[(١)]

والحكمة الشاعرة تقول :

وَوَضْعُ النَّدى فى مَوْضع السَّيف بالعلى مضر

كَوَضْعِ السَّيْفِ فى مَوْضعِ النَّدَى

ويقول الحق سبحانه من بعد ذلك :

﴿ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾

ونعلم أن الرسل مُبشِّرين ومُنذرين ؛ ولسائل أنْ يقولَ : ولماذا تأتى صيغة الإنذار دائماً ؟ وأقول : إن مَنْ يؤمن هو مَنْ يتلقَّى البشارة ؛ أما مَنْ عليه أنْ يتوقَّع النِّذارة فهو الكافر المُنكر .

وفى الإنذار تخويفٌ بشيء ينالُ منك فى المستقبل ؛ وعليك أنْ تَعُد العُدّة لتبتعد بنفسك أن تكُون فيه ، والتبشير يكون بأمر تتمناه النَّفْس . وبالإنذار والتبشير يتضح الموقف بجلاء ، ويُحَاط الإنسان بكل قضايا الحياة ؛ ويتضح مسَار كُل أمرٍ من الأُمورِ .

بذلك يكون الحق سبحانه فى الآيتين السابقتين قد امتنَّ على رسوله ﷺ بأنه قد آتاه السبع المثانى والقرآن العظيم ؛ ولذلك يوصيه الاَّ تطمح نفسه إلى ما أُوتى بعضٌ من الكفار من جاه ومال ، فالقرآن عزُّ الدنيا والآخرة .

ويوصيه كذلك بألا يحزنَ عليهم نتيجة انصرافهم عن دعوته ، فليس عليه إلا البلاغ ، وأن يتواضعَ ﷺ للمؤمنين ليزداد ارتباطهم به ،

---

(١) قال ابن كثير فى تفسيره (٢/ ٧٠) : « هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليه ، مُتعزّزاً على خَصْمه وعدوه » .